

جماليات التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر (شعر ياسين بن عبيد نموذجاً)

The aesthetic of religious in contemporary Algerian poetry (Yassin bin Obeid poetry as a model)

*باعلي عبد الحكيم

المركز الجامعي الشريف بوشوشة (آفلو)، a-baali@cu-aflou.edu.dz

(مخبر البحث والدراسات في قضايا الإنسان والمجتمع)

أ.د زارقة الوكال

المركز الجامعي الشريف بوشوشة (آفلو)، I.zerarka@cu-aflou.edu.dz

(مخبر البحث والدراسات في قضايا الإنسان والمجتمع)

تاريخ النشر: 2024/12/27

تاريخ القبول: 2024/11/07

تاريخ الاستلام: 2023/12/25

ملخص:

يعالج هذا المقال ظاهرة توظيف التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر، والكشف عن جماليته من خلال التركيز على نماذج شعرية من دواوين الشاعر الجزائري ياسين بن عبيد، فقد شكّل هذا التراث - بالنسبة له - مرجعاً فكرياً يتكأ عليه في تجاربه الشعرية بهدف الوصول إلى قيم جمالية، ودلالات جديدة في النص الشعري الجزائري المعاصر؛ ذلك أنّه سبق الشعراء إلى عرض آليات الصياغة اللغوية التراثية بالوقوف على مؤشرات البناء والتركيب والتصوير من أجل بناء الفهم وتشكيل الدلالة في العملية الإبداعية لدى المتلقي، وقد توصلت دراستنا من خلال تحليلنا لشعره إلى نتائج أبرزها:

- أن حضور التراث في دواوين الشاعر ياسين بن عبيد كان بارزاً وواضحاً بغية إبراز هويته الإسلامية، وإحياء التراث في تجربته الشعرية.

- علاقة الشاعر بالتراث الديني علاقة هوية وانتماء إلى الثقافة الإسلامية تقوم على التمجيد والاعتزاز به

وقد اعتمد الباحث في الوصول إلى هذه النتائج على منهجين هما: المنهج الوصفي والمنهج الأسلوبي لتحليل بعض النماذج الشعرية.

كلمات مفتاحية: جمالية، تراث ديني، شعر جزائري، هوية، ياسين بن عبيد.

Abstract:

This article deals with the phenomenon of employing religious heritage in contemporary Algerian poetry, and revealing its aesthetics by focusing on poetic models from the collections of the Algerian poet Yassin Bin Obaid, as this heritage constituted - for him - an intellectual reference on which to rely in his emotional experiences with the aim of reaching aesthetic values and new connotations in the contemporary Algerian poetic text, as he preceded poets to present the mechanisms of traditional linguistic formulation by standing on the indicators of construction, installation and photography in order to build understanding and form significance in The creative process of the recipient, and our study has reached through our analysis of his poetry to the most prominent results:

The researcher relied on reaching these results on two approaches: the descriptive approach and the stylistic approach to analyze some poetic models.

Keywords: aesthetic; religious heritage; Algerian poetry; identity; Yassin ben Obaid.

*المؤلف المرسل: باعلي عبد الحكيم، الإيميل: hkim96baali@gmail.com

1. مقدمة:

يُعدُّ توظيف التراث في النتاج الأدبي رافداً من روافد الإلهام الفكري الذي يساهم في بناء الصرح الفني والجمالي للقصيدة، كما يلعب دوراً بارزاً في إنتاجية التصوير الشعري، إذ يُعبّر الشاعر عن واقعه بكل أساليب الإيحاء والإخفاء والإيماء مستخدماً في ذلك الرمز بغية الوصول إلى المعنى المنشود، وتحقيق متعة القراءة من طرف المتلقي، ومما لا شك فيه أن عملية توظيف التراث في الشعر المعاصر يجعل النص مفتوحاً على مختلف القراءات والتأويلات، وعلى هذا الأساس يصنع كلُّ شاعرٍ فرادته في الرجوع إلى الماضي وفق رؤيةٍ جماليةٍ إنسانية.

فعلاقة الشاعر بالتراث علاقة وطيدة، حيث نجد أنّ الشاعر أحياناً يضطرُّ إلى استدعاء ما هو مخزون ومختمر في ذاكرته من معارف مكتسبة أو تجارب سابقة؛ لذا كان لابد أن يصبح توظيف التراث في الشعر من أفضل السمات التي يلجأ إليها الشاعر لتجسيد تجربته، وبسط مواقفه، وتشكيل رؤيته؛ مما يساعد على ابتكار أساليب جديدة في أنماط التعبير الفني بحثاً عن السمة الجمالية التي تميّز الخطاب الأدبي عن باقي الخطابات الأخرى بصفتها دفقة شعورية تثير ذوق المتلقي فيتجاوب معها على نحو يُناسب ذاته.

ولقد عرف الشعر الجزائري المعاصر تحولات فنية مسّت مضمون النص الشعري - من بينها قضية توظيف التراث - وذلك نتيجة التأثير بالثقافة الإسلامية من جهة وبالمنجز الشعري الأوربي من جهة ثانية، وفتح ذلك فضاءً فكرياً واسعاً. واللافت للنظر أنّ أغلب شعراء العصر الحديث في الجزائر استلهموا التراث واستنطقوا نصوصه، وأولوا له أهمية بالغة واعتبروه رافداً إبداعياً تحرّكه الحداثة إلى اختراق فضاءات جديدة للنص الشعري، تُضمّر أكثر ممّا تُظهر، فالشاعر يترجم الرؤيا التي تتجذّر في مخيلته ويستأنس بها، ولعلّ من بين هؤلاء الشعراء نجد الشاعر "ياسين بن عبيد" الذي وجد نفسه في حاجة ملحة إلى توظيف التراث الديني، بعد أن وجّه بوصلة اهتمامه إلى الدراسات الصوفية، وجعل منها بؤرة الممارسة النقدية لذا كان من الضروري أن ينحاز الدارس إلى طرح التساؤلات التالية:

✓ ما مفهوم الجمالية والتراث الديني وما أثرهما الفني والدلالي على النص الشعري المعاصر؟

✓ هل شكّل التراث الديني السمة الجمالية - بشكل لافت - في شعر ياسين عبيد؟

✓ ماهي أسباب ودواعي وآليات توظيف التراث في الشعر الجزائري المعاصر؟

2. مفهوم الجمالية لغة واصطلاحاً

مما لا شك فيه أنّ أهمّ ما يميّز الخطاب الأدبي هي السمة الجمالية، كجمالية الصورة أو جمالية الإيقاع، أو جمالية اللغة والأسلوب وغيرها، فالأدب هو خطاب جمالي يصدر من قريحة الإنسان مُعبّراً عن أفكاره، وأحاسيسه، كما أنّ التركيز على مفهوم الجمالية هنا يُساعدنا على إنتاجية القراءة الفعلية للأدب، وفهم بعض القضايا المتعلقة به لا سيما قضية توظيف التراث في الشعر؛ والواقع أنّ تحديد مفهوم الجمال والجمالية ليس أمراً سهلاً نظراً لتنوع الآراء والأفكار فيه، واختلاف المذاهب الفكرية؛ لذلك كان لزاماً علينا الوقوف على مفهوم الجمالية في اللغة والاصطلاح، وتبيان المسار الذي ترسمه على النص الأدبي.

1.2 المفهوم اللغوي:

الجمالية مصدر صناعي مشتق من "الجمال"، فقد جاء بمعنى "الجميل" في معجم العين «بمعنى بهاء وحُسن، ويقال: جاملت فلانا مجاملة»⁽¹⁾، والنفس الإنسانية تنجذب إلى كل ما هو جميل؛ وقد ورد عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم «إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال»⁽²⁾، فالجمال هو صفة للأخلاق والتجاوب معه حالة لا شعورية، فالكائنات، والطبيعة، والفنون، والعمارة والتخطيط، والكتابة الإبداعية كلها منابع تشكل قيم جمالية.

كما وردت لفظة "الجمال" في معجم لسان العرب على أنَّها حسن التلقي والأفعال، "والجمال مصدر الجميل، والفعل "جَمَلٌ" وقوله عَزَّ وجل {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} سورة النحل (الآية 06) أي بهاء وحُسن، ابن سيده: «الجمال الحُسْنُ يكون في الفعلِ والخلقِ، وقد جَمَلَ الرجلُ، بالضمِّ جمالاً، فهو جميلٌ وجمالٌ ومنه قال ابن الأثير: الجمال يقع على الصور والمعاني»⁽³⁾ التي تتبناها الكتابة الإبداعية سواء كانت نثراً أو شعراً بما فيها من إيجاء وإخفاء وإيماء المرتبطة بروحانية الذوق الإنساني.

ومما ورد أيضاً في الكلام ما يُسمَّى "بالبعد الجمالي" ويتضمن إيجاد مسافة وجدانية واضحة تفصل بين شخصية القارئ والعمل الفني، الذي يظهر بعيداً عن مجال تجارب القارئ، فالإحساس بالجمال الموجود في النص الأدبي الإبداعي مسألة فطرية متجذرة في ذهن المتلقي، ولا حياة له دون ذوق أو جمال أو قيمة أو إحساس الذي بدوره يميز كل ما هو حقيقي وكل ما هو وهمي، فالمعنى العام للفظ "الجمال" تقوم على الاستحسان والقبول لكل ما يرتاح له العقل، والقلب، والنفس البشرية المتزنة والسوية، فالجمالية هي «نزعة تحيا في أعماق النفس البشرية على وجه الفطرة والبديهة، كما أنها علم تُعنى "بعلم الجمال" في مواصفاته الخارجية، وفي حالة النفس بإزائه انعكاسات وملابسات سلبية وإيجابية»⁽⁴⁾.

كما أنَّها وردت في معجم المصطلحات الأدبية هي «نزعة مثالية تبحث عن الخلفيات التشكيلية للإنتاج الأدبي والفني ترمي إلى الاهتمام بالمقاييس الجمالية بغض النظر عن الجوانب الأخلاقية انطلاقاً من مقولة (الفن للفن)»⁽⁵⁾، فلفظة الجمال لها مدلول حسي يتحكم فيه الذوق على نحو تتفاوت فيه الحاجات بين البشر، إلا أنَّ هذا المفهوم يركز على ضرورة إبراز القيمة الفنية والجمالية للنص الأدبي، فهي من المبادئ الأساسية التي جاء بها، وقد انبثق هذا المفهوم تماماً كما هو في معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر «أنها تعنى بالقيمة والعناصر التي تكسب العمل جمالاً فنياً»⁽⁶⁾ ومنه يقال دراسة جمالية؛ أي دراسة تسعى إلى تبيان الأسس الفنية، ومواطن الاستحسان وكل الجوانب التي تلبي ذوق المتلقي بحيث أنها تشكل غذاء النص الإبداعي، كما أن أي عمل أدبي إبداعي يخلو من القيم الجمالية هو عمل جاف تنعدم فيه مشاعر القارئ، ولا تلبي أشواقه النفسية ونزعتة الفطرية.

وما تم التوصل إليه من خلال التعريفات السابقة أنَّ الجمال شعور وإحساس يتعلق بالجانب الروحي؛ وهو ضد القبح، كما أننا نشاهد الجمال وتندوقه في الإبداع الشعري كجمالية اللغة والأسلوب، وتوظيف الرمز والتراث، فكل شيء له خصوصياته الجمالية.

2.2 المفهوم الاصطلاحي:

لو عدنا إلى التراث العربي لوجدنا الكثير من التعريفات الرائجة في مجال الجماليات «قد تناولها النقاد القدامى بالدراسة والبحث وخصَّصوا لها مؤلفات، وقد تحدَّث في هذا الشأن الناقدة رشيدة التريكي في كتابها "الجماليات وسؤال المعنى" إذ تقول: تهتم الجماليات في دلالتها الواسعة بكل ما يتعلق بالأستطيقا (aisthesis) أي بالمحسوس الذي تدخل معه في علاقة بواسطة

الإدراك، إنها تهتم بقدرتنا على الإحساس من خلال انطباعات الحواس، الأشياء بمجرد حضورها لا غير»⁽⁷⁾ على غرار ما ذكره "مختار عمر" قائلاً إنها: «صفة تُلاحظ في الأشياء وتبعث في النفوس سروراً أو الإحساس بالانتظام والتناغم»⁽⁸⁾ فمن خلال المفهومين وبالرغم من اختلافهما في التعريف نكاد نجزم بأن استشعار الجمالية في النص آلية إجرائية فعالة تعيد للنص قوّته، وتمركزه مما تساهم في إقامة العلاقة الحقيقة بين النص والمتلقي.

وورد مصطلح الجمالية في المعجم المفصل للغة والأدب على أنها «العلم الذي يبحث في الجمال عامة، وفي الإحساس الذي يتولد في نفوسنا من جرائه»⁽⁹⁾، وعليه فإن الجمال ظاهرة حسية، وانطباع، وانجذاب بآثر وتأثر وتأثير يتغلغل في النفوس. واستناداً على ما تقدّم من تعريفات، وتصورات حول موضوع الجمالية؛ فإنه يتوجّب علينا أن نحدّد الغاية من هذا المصطلح والتي نتوخاها في هذه الدراسة: وهي البحث عن كلّ ما يتّصل بالجمال، واللذة الفنية الشعورية، وما يستحسنه ذوق المتلقي في الشعر الجزائري المعاصر لا سيما شعر ياسين بن عبيد من خلال توظيفه لسمات التراث، وكذا البحث عن مظاهر هذا الجمال من نظام، وتناسب وانسجام، وتناغم، وإيقاع، وتصوير، وتكامل، وترباط؛ فهي دراسة تتعلق بذاتية النص وجماليته، كما تتعلق بذاتية المتلقي، ومدى تأثير الجمال فيه والذي يتمظهر في الانفعالات التالية (إحساس، شعور، تعجب، أحلام، رؤى)، كما نقصد بالجمالية هنا أيضاً محاولة البحث عن الجمال التصوري، والذي يتمثل في لغة التعبير، والصور الفنية، والشكل والمضمون، وتوظيف التراث والرموز وغيرها من الإجراءات التي تجعل العمل متمعاً وجميلاً.

3. التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر بين التشكيل والتلقي

1.3 مفهوم التراث الديني:

يُعَدُّ التراث الديني منبعاً من منابع الإلهام في الشعر العربي المعاصر، إذ يرتبط أساساً بأصول الدين الإسلامي، من أحداث، وشخصيات، أو ما اتصل بالقرآن الكريم، وقصص التاريخ الإسلامي، «فلم يكن غريباً إذن أن يكون الموروث الديني مصدراً أساسياً من المصادر التي عكف عليها شعراؤنا المعاصرون، واستمدوا منها شخصيات تراثية عبّروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة»⁽¹⁰⁾؛ لأنه وعاء المجتمع، وهو أيضاً بمثابة الأرض الصلبة التي يقف عليها المبدع باعتباره رمزاً للقيم، ووسيلة للتواصل الروحي مع المتلقي.

وقد تعزّزت ملامح التراث الديني في الشعر كمرجع ديني روحي يُؤخذ من الثقافة الإسلامية كما جاء في كتاب "التراث والشعر واللغة" لشوقي ضيف «أن أمتنا العربية ذات تراث واحد روحي وعقلي وأدبي، ونور تراثها الروحي الباهر القرآن الكريم المعجزة التي ليس لها سابقة ولا لاحقة في تاريخ الحياة الروحية الإنسانية»⁽¹¹⁾، وهكذا فإنّ الأساس الذي يقود تطور الشعر المعاصر هو العلاقة الروحية القائمة بين المبدع والقرآن الكريم، وكل ماله صلة بالموروث الديني؛ لأنّ هناك مضامين وأحداث تُعدُّ مصدراً ثرياً من مصادر الإلهام، حيث يستدعي منها الشعراء تجاربهم الإبداعية وفق نسيج لغوي ممتع، ومن ثمّ فإنّ هذا التراث وسيلة لا غاية دائماً وأبداً بالنسبة للمبدع يحاول من خلاله استنطاق النص بمفاهيم جديدة تحمل رموزاً دينية كتوظيف شخصيات الأنبياء والرسل، وأنّ ما يحتويه الأدب الديني من كنوز شعرية وروحية تشكّل عوامل فنية لا غنى عنها للشاعر... ذلك أنّ القرآن الكريم كان ولا يزال سبيلاً معرفياً لا بد منه لكلّ من يريد إتقان اللغة أو الدخول إلى عالم الأدب.

كما أنّ الشعر المعاصر الذي يستثمر التراث الديني مكسبا إبداعيا استطاع أن يحقق قيمته التفاعلية من منيع جمالي صرف، فكان لزاما على الشاعر أن يبحث في مخيلته على ألفاظ مفعمة بالجمالية، وقرينة إلى ذهن المتلقي شكلا ومضمونا من ناحية القيمة الفنية، لا سيما الألفاظ الدينية والروحية التي تستطيع أن تحتوي على كل معاني حالات النفس البشرية، وما تكابده من عناء ومشاعر، ومن هنا فإنّ التراث يترجم الواقع المعيشي بما فيه من أحداث، وقصص، وحالات إنسانية روحية، واللجوء إليه من طرف الشاعر لا شك أنه يُعدُّ ممارسة بلاغية ودلالية عن وعي منه، وقصد وإدراك بمدى غنى هذا التراث بالطاقة التعبيرية الهائلة، إذ إنّ علاقة الشعر العربي المعاصر بالتراث الديني علاقة قوية إلى حدّ أنّها تشكّل ظاهرة بارزة ومهمة، فقد أجاد الشعراء والمبدعون في استعمال تقنيات التضمن، والاقتباس، والتناسل من النصوص الدينية، أو القصص القرآنية؛ لأنّ «العودة إلى الماضي ومراجعته تعتبر حتمية في كل كتابة عن الحياة الشخصية، ثم إنّ الزمن بكل ما ينطوي عليه من إشكالات وتدخلات يعتبر من الركائز الأساسية في خلق النص»⁽¹²⁾.

ولعلّ توظيف التراث الديني في الشعر المعاصر يمثّل ولادة تاريخية جديدة؛ لتخرج عما قد يصيب القصائد من رتابة تكرّسها النمطية والتقليد، ومحاولة خلق جو تفاعلي روحي بكلّ جد واحتراف، وضمن هذا المسار نجد تجلياته بدلالاته المختلفة، وطرق توظيفه عند الشاعر ياسين بن عبيد؛ فهي عملية فنية تستدعي منا التوقف للغوص في تجلياتها، فقد تعامل الشاعر مع التراث الديني باعتباره جزءا من حياته اليومية نظرا لما فيه من عبر وقيم وجماليات.

2.3 تجليات التراث الديني في شعر ياسين بن عبيد

يحتلّ التراث مساحة واسعة في شعر "ياسين بن عبيد"⁽¹³⁾ حتى أصبح حقلا خصبا للدراسة والتحليل، ووسيلة فنية دلالية، إذ نحاول هنا استجلاء بعض المعالم التراثية الدينية التي برزت في شعره، وإبراز جمالياتها في التوظيف، «وهذا معناه أنّ الشكل التراثي لا يقف على وجه التحولات الجمالية التي يعرفها الشعر؛ لهذا لا نستغرب حين تستوقفنا لغة الحداثة في قصائد الشاعر ياسين بن عبيد، فالانزياح، وعالم الدهشة، والغربة، تزين قصائده سواء منها الحرة أو تلك التي حافظت على قواعد الخليل، فلملج صهيل، وللحزن دقات، وللغافية أوجاع»⁽¹⁴⁾، فقد تعامل ياسين بن عبيد مع التراث تعاملًا رمزيا اتخذ منه قناعا ينسجم مع تجربته في التعبير عن رؤيته المعاصرة.

1.2.3 النص القرآني:

يُعدُّ القرآن الكريم من أهم المصادر التي يعتمد عليها الشعراء في التعبير عن تجاربهم وأفكارهم؛ لأنّه «يمثل عطاء متجددا للفكر والشعور الإنساني، فاستحضار النص القرآني في الخطاب الشعري المعاصر يعطي تميزا لدلالات النصوص الشعرية انطلاقا من مصداقية الخطاب القرآني وقديسيته وإعجازه»⁽¹⁵⁾، فتوظيف النص القرآني في الشعر يحيل إلى استحضار دلالات عميقة للنص، ولعلّ الشاعر ياسين بن عبيد في السياق نعدّه من الذين أدركوا أهمية القرآن الكريم وراح يستحضره في نصوصه، ففي قصيدة له بعنوان: يد تغسل الأقمار (في مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلم) يقول⁽¹⁶⁾:

تَشَقُّ الحجاب "اقرأ" فيأتي خديجة	تَلُمُّ شَعَاثَ الرُّوحِ والخَطْبُ
أَتَاهَا على جنح ارتياحٍ ودهشةٍ	أَتَى من لَأَمِنْ في المهابة يُطَلَّبُ
فألقت عليه من حرير أمانها	ولم يُعي أُمُّ المؤمنين التَّهَيُّبُ

إنَّ المتمعن في هذه الأبيات يجد أنَّ الشاعر يستحضر الآية الكريمة {أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)}⁽¹⁷⁾ (سورة العلق 05)، فقد حاول الشاعر أن يصف من خلال هذه الأبيات قصة الرسول صلى الله عليه وسلم حينما نزل عليه الوحي ورجع إلى البيت مسرعاً، ثم رقد وهو يرتعش وطلب من زوجته خديجة أن تغطيه فائلاً لها "زملوني، زملوني"، وقد تكمن جمالية التوظيف في دقة وصف الحالة الشعورية التي كان عليها "محمد صلى الله عليه وسلم" مما أكسب هذا كثافة رمزية وإيحائية، كما تجلّى هذا في توظيف بعض الألفاظ كالحريز دلالة على الغطاء والأمان دلالة على الاستقرار والطمأنينة في حضن خديجة، وقد أسماها في البيت الأخير بأَمِّ المؤمنين كما هو معروف في الأثر الديني.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "لو خانك الليل" التي يصف فيها حال المشتاق إذا خانته الليل في اصطلياد الكلمات والأشعار، حيث أخذت لفظة "الليل" في التراث الشعري مصدراً من مصادر الراحة، وتحديد الطاقة، فقد وردت في القرآن الكريم بصيغة الجمع والمفرد نذكر منها قوله تعالى: {وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (52) وكما جاء في الأبيات من قصيدة "لو خانك الليل" يقول في مطلعها⁽¹⁸⁾:

طال الطريق هل الأشواق طائلة	وحدي على عتبة الإمكان
أدعو الذي مرج البحرين في جسدي	فصار لي موطن في الماء
يخلو بعيني فلا ألوي على شجن	وينحني "الليل" تذكّاراً لمن رحلوا

إنَّ الناظر بعين المتفحص في هذه الأبيات لا شك أنه يستحضر الآية الكريمة { وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا }⁽¹⁹⁾ (الفرقان 53) أو الآية الكريمة { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }⁽²⁰⁾ (الرحمان 19-21)، فقد جنح الشاعر هنا إلى توظيف كلمة "مرج" أي الاختلاط أو الالتباس بين البحر المالح والبحر والعذب، وهنا دلالة على الخوف والدمار بيد أن الطريق طويلة في الاشتياق، مما أضفى هذا جمالية مائعة في على مستوى التشكيل تمثل ذلك في المفارقة العجيبة أن البحار صارت موطن أمان له في مسيرته الشاقة عبر الزمن.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "يوميات بعيدة" التي يسرد فيها أحداث وذكريات أذ يقول في المقطع الثالث⁽²¹⁾

لا سبيل إلى الملتقى

غير أن تحمّل العمر في الكف

وحدك تأتيني

فارغا منك حتى يطيب اللقاء

مدخل الصّدق أدخلني

مخرج الصّدق أخرجني

عندها سلّْتُ من كُفّه أثرا للبقاء

في هذه القصيدة محاولة لاستكشاف أغوار النفس البشرية، وما يختلج منها من مشاعر وأحاسيس تنطوي على أمل اللقاء، بعد أن يتقن الحبيب لعبة الغياب، ولعلّ الشاعر هنا أجاد التوصيف، ولا يعدو أن تكون الألفاظ لها رؤية فنية جمالية، والجدير بالذكر هنا أنّ القارئ لهذه الأبيات سيلحظ التناسق القرآني من الآية الكريمة: { وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا }⁽²²⁾. (سورة الإسراء 80). فقد أكسب هذا التناسق ثراءً في التعبير، ونمّاءً في الدلالة، ولعلّ الشاعر يريد أن يرسم لنا صورة الأمل والطمأنينة في "الصدق" بعدما احتّمى بالفراق والأحزان، مما أضفى بنا هذا إلى بعث صورة فنية جمالية خاصة على مستوى البناء والتشكيل.

2.2.3 القصص القرآني:

وجد الشعراء الجزائريون في القصص القرآني كنزا ثمينًا، وما يتيح من طاقات تعبيرية عميقة في الوعي والوجدان، ووجدوا فيه معينا من الدلالات والرموز والأحداث، وتوظيفها يعدّ تجاوزا لأساليب كتابية جديدة، كما ظل مهيمنا في تشكيل الرؤى والتوجهات الفكرية، ولعلّ التأثير به لا مناص منه ذلك؛ لأنه الرافد المهم في الثقافة الإسلامية لدى الشعراء، وقد نجد هذا في شعر ياسين بن عبيد لاسيما في قصيدة " حافية اليدين " يقول فيها⁽²³⁾:

وانشَقَّ لي قمرٌ فبحثُ بوشمه	وغرستُ في فمه الهوى
ولمستُ في طبعي الجديد تناقضا	سبحان من بك غير الأحوال

في هذه الأبيات نستحضر معجزة انشقاق القمر إلى نصفين؛ وهي من إحدى المعجزات التي أيد الله بها نبيّه "محمدًا صلى الله عليه وسلم"، وقد ذكرت هذه الحادثة في سورة القمر، حيث يقول: { افْتَرَّتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ }⁽²⁴⁾ (القمر، الآية 02)، وقد جاء لفظ الانشقاق؛ بمعنى الابتعاد والانفصال عن الأشياء، ولعلّ هذا التوظيف يدلّ على أنّ الشاعر قد قامت قيامته في عدم تحمل الأشياء والأحداث التي تعيق مشاعره، فتكمن الجمالية هنا في تكثيف الدلالات، والتشكيل اللغوي، كما جاء توظيف انشقاق القمر دلالة على أنّ الشاعر صادق في أحاسيسه وأفكاره، فلو عدنا لأسباب نزول الآية لوجدنا أن كفّار قريش حينما قالوا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقًا فشقّ لنا القمر نصفين ووعدوه بالدخول إلى الإسلام إن فعل ذلك، وطلب النبي "محمد صلى الله عليه وسلم" من الله أن يؤيده بها فانشق القمر حتى غدا نصفين، إلا أنّ هذا التزامن في الحدث الذي التجأ إليه الشاعر يعدّ نوعًا من أنواع المبالغة في التصوير والاستحضار للتراث؛ لأنّ القصة عبارة معجزة؛ وهي حدث غير متوقع وخارق للعادة، وقد يعجز الآخرون عن الإتيان بها، ومع ذلك فإن هذا التوظيف لا شك أنّ الشاعر أراد من خلاله أن يكسر شوكة التحدي في مواجهة الصعاب، وقد ترجمها الشاعر في سياق بياني جمالي ليعبر عن تجربته الانسانية.

وفي قصيدة أخرى له بعنوان "حدائق المعنى" التي يصف الشاعر فيها حالته الصوفية و ما نشب عنها من حنين واشتياق، وعن محاذير الهوى يقول في أبيات منها⁽²⁵⁾:

يا صرخة المهد قالوا من هنا انبجست	عينُ العناية وامتدت لها طرقُ
هُزِّي إِلَيْكَ بِجَذَعِ النُّورِ واقتربي	هنا المعاد هنا اللّقاء بمن صدقوا
ابتلّ قلبي لرؤياهم وقد عبروا	نهر الحنين مسجّى فوقه الأفقُ

لا شك أنّ قارئ هذه الأبيات يستشف من خلالها قصة عيسى الذي وُلد تحت الشجرة، وقد وردت هذه الحادثة في سورة مريم يقول الله تعالى: { وَهَزَّيْ إِلَيْكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَعَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا } (سورة مريم الآية 26)، كما شكّلت هذه القصة رمزا تراثيا ليعبر عن حالته الشعورية، وإلى الإبانة عن توجهاته الفكرية، وقد تكمن جمالية هذا التوظيف في بلاغة التشبيه، حيث شبه "النور" بالنخلة؛ وهو تشبيه بليغ يشكّل صورة جمالية في النص، إضافة إلى براعة الاستهلال كما جاء في مطلع القصيدة حين يقول:

ماذا حواليك والقنديل يلثمها	نارٌ على كبد يُطهى بها الغسقُ
أم زفرة من سبايا الطير طالعةٌ	تتلو على وجل ما يشرب الورقُ

إنّ المتأمل في مقدمات قصائد ياسين بن عبيد يجدها عادة ما تأتي حسب حالته الشعورية المفعمة بالروح الصوفية والتراثية، فيستهل قصائده في معظمها إلى وصف حالة، أو سرد حدث معين، أو يبدأ بمقدمة غزلية يصف فيها الشاعر لوعته بصورة فنية جمالية كما جاء في الأبيات التالية وهو يسرد قصة الغياب قائلاً²⁶:

ما زال يجرحه الغيات
وفجأة
بالريح سيّجه الغمام
وهاجرت أعراسه ظمأى
فتلفتت يُمناه تقتاتُ الضياء
من الرمال

3.2.3 الشخصيات الدينية والمعالم الإسلامية

يُعدّ توظيف الشخصيات الدينية والمعالم الإسلامية مكسبا إبداعيا ورمزيا يتجدد وفق ما تملّيه التجربة الشعورية لدى الشاعر الذي حاول أن يترجم المعاني التراثية إلى معطيات جمالية دلالية ذات قيمة، ولعلّ من بين الشخصيات الأكثر حضورا في

القصيدة الجزائرية المعاصرة نجد شخصيات الأنبياء والمرسلين لما لها من أحداث وعَبَّرَ تكشف الواقع على حقيقته، « فكل من النبي والشاعر يحمل رسالة إلى أمته، والفارق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية وكل منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته »⁽²⁷⁾، وقد نجد هذه الميزة كثيرا في شعر ياسين بن عبيد، وسنعرض بعض النماذج في ذلك.

1. شخصية أم المؤمنين: السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)

استحضر الشاعر في قصيدة "يد تغسل الأقمار" (في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم) شخصية "خديجة" رضي الله عنها التي تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وكان عمرها أربعين سنة، ولعلّ هذا التوظيف جاء في سياق وصف الحالة الشعورية التي مرّ بها النبي "محمد صلى الله عليه وسلم" إذ يقول في الأبيات⁽²⁸⁾:

تَشَقُّ الحِجَابَ "اقْرَأْ" فيأتي خديجة	تَلُمُّ شَعَاتِ الرُّوحِ والخَطْبُ
أَتَاهَا عَلَى جَنَحِ ارْتِياعٍ ودهشة	أَتَى مِنْ لَأْمَنِ فِي المِهَابَةِ

من خلال هذه الأبيات الشعرية نجد أنّ الشاعر استدعي اسم "خديجة" والذي يرمز إلى القيم العليا، والصبر، والتضحية والأمان، كما جاء في البيت الثاني بأن حرير خديجة هو بمثابة موطن أمان وطمأنينة لدهشة النبي "محمد صلى الله عليه وسلم"، وقد أعطى هذا التوظيف قيمة جمالية لشعره تمثل ذلك في العمق الدلالي، الأمر الذي يمنح للمتلقي خيارات متعددة للتأويل والتفسير.

2. شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم

تعدّ من أكثر الشخصيات حضورا في التجربة الشعورية لدى الشعراء المعاصرين، وياسين بن عبيد من بينهم، فقد استدعى في قصيدته "يد تغسل الأقمار" شخصية "المصطفى" حيث أفرد قصيدة كاملة يصفه فيها، إذ يقول في أبيات منها⁽²⁹⁾:

يَدٌ تَغْرُسُ الأَقْمَارَ فِي كُلِّ ظِلْمَةٍ	تَظِلُّ بِعَيْنِ اللهِ تَرعى وَتَحْسَبُ
تَقُولُ لَأَنْتَ المِصْطَفَى بِشَرَّتْ بِهِ	شَرَائِعُ بَادَتْ لِلأَمَانَةِ تُنْسَبُ

يتضح لنا من خلال الأبيات أنّ الشاعر متأثر بشخصية الحبيب "المصطفى" صلى الله عليه وسلم، وهو يصف خصاله الحميدة، وأحداثه الباسلة، ومعجزاته الراسخة «هذه الشخصية البشرية التي حررت النفس البشرية من الخرافة، ومن الجهل والعبودية... هي هذه الشخصية البشرية التي أعادت للإنسان قيمته كإنسان يحقق بإرادته أهدافه»⁽³⁰⁾ وبالتالي نجد الشعراء يرمزون من خلال هذا التوظيف إلى نشر مكارم الأخلاق، والفضائل، كما يمكن القول أنّ الشاعر ياسين بن عبيد اعتبرها نقطة ارتكاز ينطلق منها في ترجمة مشاعره وأفكاره.

3. شخصية صلاح الدين الأيوبي

لقد ظلَّت الشخصيات في شعر ياسين بن عبيد عرضة للتطور كلما همَّ الشَّاعر بتوظيفها بسبب التحولات النفسية والاجتماعية والحضارية التي ساهمت بشكل كبير في استدعاء ما هو مخزون في ذاكرة التاريخ، بيد أن هذه الظاهرة شائعة بين كل الشعراء المعاصرين، وهي ظاهرة فنية إيجابية إذ تجعل الشعر قادرا على تحقيق الصلة بين التراث ومعانيه، فيوظف شخصية صلاح الدين الأيوبي بقوله

كَمَا لَوْ (صَلَاحُ الدِّين) عِنْدَ	يَصَافِحُ فَيْكُم سَادَةَ الْمَوْقِفِ
وَيَمْتَدُّ فِي شَرِيَانِكُمْ بَعْضُ نَارِهِ	وَتَرْتَدُّ مِنْ أَيَّامِهِ صَرْخَةُ الْحَرِّ

اقترن اسم صلاح الدين الأيوبي بالقدس، وبه اقترنت آمال النصر الموعود، فكان رجلا من رجال الإصلاح والدفاع والنضال ضد الغزاة المستعمرين، كما اشتبك مع الصليبيين في معارك طاحنة لذلك نجد أنَّ الشعراء المعاصرين يوظفون شخصية "صلاح الدين" كثيرا دلالة للقوة والنصرة في سبيل الله، فقد جاءت هذه الشخصية تحملُ بعدين هما الدين والتاريخ «فليس بالمستطاع رؤية الشخصية بمعزل عن تاريخها الذي يشكِّل إطارا معرفيا لا سبيل إلى مجاوزته من أجل وعي دوافع التقنع، ولا سيما ضمانة التجرد من الذاتية وما يلزمها من غنائية تكاد تلغي التاريخ في أحيان كثيرة»⁽³¹⁾ ومن هنا يحاول الشاعر استنطاق النص من خلال مخاطبة شخصية (صلاح الدين الأيوبي) ويصفها بأبرز الأحداث التي ألصقت بها في التاريخ الحديث والقديم.

4. أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين (المسجد الأقصى)

لا شكَّ أنَّ المسجد الأقصى يحتلُّ مساحة كبيرة في مخيلة الشعراء بصفته أحد أكبر مساجد العالم، وأول القبلتين في الإسلام، وهو المكان المقدَّس الذي أُسري إليه بالنبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في القرآن الكريم من سورة الإسراء قال الله تعالى : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}⁽³²⁾ (سورة الإسراء) وقد استحضره الشاعر في قصيدة بقوله:

يُفْتَحُ أَوَّلَى الْقِبْلَتَيْنِ ذِرَاعَهُ	لَهُ وَمَلُوكِ الرُّوحِ صَفَا تَأْهَبُوا
يَجُولُ بِأَقْطَارِ السَّمَاءِ مُصَاعِدَا	فَكُلُّهُمْ...إِمَّا تَوَافَى مُرَحَّبُ
وَيَفْضِي بِهِ الْمَعْرَاجَ لِلْمُنْتَهَى لَمَّا	تَجَاوَزَهُ فِي الثُّورِ فَرْدَا يُغَيَّبُ

حاول الشاعر في هذه الأبيات أن يسترجع للقدس الشريف مكانته وأصالتها، ولا شكَّ أن استحضاره لهذا المعلم الديني الإسلامي ما هو إلا تمجيد للماضي وخدمة للمستقبل، كما لا يختلف اثنان أن بيت المقدس هو معراج النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر هذا في البيت الثالث حينما يصف رحلة النبي "محمد صلى الله عليه وسلم" مما أدى هذا التوظيف إلى توليد دلالات عميقة ساهمت في إثراء النص وجماليته.

ولعلّ الناظر إلى شعر "ياسين بن عبيد" يكتشف الفارق بينه وبين الشعراء الآخرين؛ لأنه استطاع أن يرسم لنفسه معجما تراثيا جديدا يواكب روح العصر، حيث يلتبس القارئ أن لغة الشاعر لغة رمزية مفعمة بروح صوفية ودينية لا غموض فيها ولا تعقيد، ويكتب بحرية مطلقة بما يناسب حالته الشعورية، حيث يترك العنان للقارئ في تأويل الرموز والدلالات، وقد ظلّ التراث بالنسبة له مرتكزا معرفيا في العملية الإبداعية، الأمر الذي أعطى لنصوصه الشعرية جمالا وثراء في الألفاظ والتراكيب من حيث تشكيلها المعماري.

4. خاتمة:

يصل البحث بعد مناقشة بعض القضايا المتعلقة بالجمالية والتراث، وبعد التعرف على ظاهرة توظيف التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر والكشف عن تحليلاتها الجمالية والتناصية إلى جملة من النتائج يمكننا رصدتها في النقاط التالية:

- ✓ تتجلى جمالية توظيف التراث الديني في شعر ياسين بن عبيد بحضور مجموعة من العناصر الفنية: كالتناص القرآني، والتصوير الحسي، والتشكيل اللغوي الإيحائي.
- ✓ شكّل التراث الديني في شعر ياسين بن عبيد السمة الجمالية وساهمت في ثراء تجاربه الشعرية، وحققت تفاعلا حواريا في البناء الدلالي للألفاظ.
- ✓ يتمثل توظيف التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر باستحضار ألفاظ وتراكيب القرآن الكريم، والقصص القرآني، والشخصيات الدينية، والمعالم الإسلامية.
- ✓ يكون التناص مرتكزا معرفيا لظاهرة توظيف التراث في الشعر، فهو الكفيل بكشفه، ومعرفة أسرار ومداخلاته.
- ✓ علاقة الشاعر بالتراث الديني علاقة هوية وانتماء إلى الثقافة الإسلامية تقوم على التمجيد والاعتزاز به.
- ✓ من أسباب استدعاء الشعراء للتراث هو تأثرهم بالقرآن الكريم، واهتمامهم بالأدب العربي القديم شعرا ونثرا.
- ✓ حضور التراث في دواوين الشاعر ياسين بن عبيد كان بارزا وواضحا بغية إبراز هويته الإسلامية، وإحياء التراث في تجربته الشعرية.

5. قائمة الإحالات:

✓ المؤلفات

- (1) أوريدة عبود، تمهي التاريخ والتخييل في رواية سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج، مجلة اللغة العربية، مج21، العدد44، 2019م.
- (2) إميل بديع يعقوب/ ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب مج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
- (3) الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، مج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- (4) رشيدة التريكي، الجماليات وسؤال المعنى، تر: إبراهيم العميري، الدار المتوسطة، تونس، ط1، 2009م، 1430هـ.
- (5) سعيد غلوس، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.
- (6) شوقي ضيف، التراث والشعر واللغة، دار المعارف، (د.ط.).
- (7) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1997م.
- (8) غنية بويدي، استدعاء التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر (قراءة في نماذج شعرية)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية مج21، العدد02، ديسمبر2022.
- (9) ابن منظور، لسان العرب، مج1، مادة (جمل)، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.
- (10) ياسين بن عبيد، أهديك أحزاني (مجموعة شعرية)، ط1، 1998م.
- (11) ياسين بن عبيد، حداث المعنى (شعر)، دار الأوطان، (د.ط.).

- (12) ياسين بن عبيد، معلقات على أستاذ الروح (مجموعة شعرية)، (د.ط).
(13) ياسين بن عبيد، هناك التقينا ضباباً وشمساً (شعر)، الجزائر، 2007م.

6. الهوامش:

- (1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، مج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م، ص 261
(2) الحديث من رواية مسلم وأبي داود والترمذي: انظر جامع الأصول ج 10/ رقم الحديث 8210.
(3) ابن منظور، لسان العرب، مج 1، مادة (جمل)، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د.ط)، ص 503.
(4) إميل بديع يعقوب/ ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب مج 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1987م، ص 501.
(5) سعيد غلوس، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 1، 1985م، 1405هـ، ص 62.
(6) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2008م، ص 398.
(7) رشيدة التريكي، الجماليات وسؤال المعنى، تر: إبراهيم العميري، الدار المتوسطة، تونس، ط 1، 2009م، 1430هـ، ص 25.
(8) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص 398.
(9) إميل بديع يعقوب/ ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، المرجع السابق، ص 502.
(10) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1997م، ص 77.
(11) شوقي ضيف، التراث والشعر واللغة، دار المعارف، (د.ط)، ص 11.
(12) أوريدة عبود، تماهي التاريخ والتخييل في رواية سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج، مجلة اللغة العربية، مج 21، العدد 44، 2019م، ص 404.
(13) ياسين بن عبيد: أكاديمي جزائري وشاعر وناقد ومترجم وباحث مختص في الفكر الصوفي، والأدب المقارن، ولد سنة 1958م في مدينة برج زمورة، له دواوين شعرية متعددة منها ديوان حقائق المعنى، ومشارك في الحركة الثقافية بالجزائر وفي الخارج. وهو الآن رئيس المركز الثقافي في الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة.
(14) ياسين بن عبيد، أهديك أحزاني (مجموعة شعرية)، ط 1، 1998م، ص 06.
(15) غنية بويدي، استدعاء التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر (قراءة في نماذج شعرية)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية مج 21، العدد 02، ديسمبر 2022، ص 640.
(16) ياسين بن عبيد، حقائق المعنى (شعر)، دار الأوطان، (د.ط)، ص 27.
(17) سورة العلق، الآية 05.
(18) ياسين بن عبيد، حقائق المعنى (شعر)، مصدر سابق، ص 33.
(19) سورة الفرقان، الآية 53.
(20) سورة الرحمن، الآية 21.
(21) ياسين بن عبيد، معلقات على أستاذ الروح (مجموعة شعرية)، (د.ط)، ص 46.
(22) سورة الإسراء، الآية 80.
(23) ياسين بن عبيد، هناك التقينا ضباباً وشمساً (شعر)، الجزائر، 2007م، ص 44.
(24) سورة القمر، الآية 02.
(25) حقائق المعنى، مصدر سابق، ص 57.
(26) ياسين بن عبيد، أهديك أحزاني، المصدر السابق، ص 06.
(27) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 77.
(28) ياسين بن عبيد، حقائق المعنى، مصدر سابق، ص 25.
(29) مصدر سابق، ص 27.
(30) عبد المنعم جبار عبيد الشويلي، الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر العراقي الحديث، مركز البحوث والدراسات للنشر، العراق، بغداد، 2022م، ص 72.
(31) عبد الله أبو هيف، قناع المتنبي في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2004م، ص 31.
(32) سورة الإسراء، الآية 01.